بداية القصص التاريخي

وهب بن منبه

إن دراسة وهب بن منبه تخرج بنا عن نطاق بحث علم التاريخ عند العرب. ولكن وضعه من قبل بعض الباحثين في هذا النطاق[1] وتأكيد البعض على أهميته في السيرة[2]، دفعنا لبحثه هنا لنبين بوضوح أنه لم يعتبر من أهل المغازي.

ولد وهب بن منبه في ذمار باليمن على بعد مرحلتين من صنعاء. وهناك اختلاف في تاريخ مولده ووفاته، فالروايات تتباين في وفاته بين ١١٠هـ و١١٤هـ، توفي في ١١ محرم ١١٤هـ/ ٧٣٢م[3]. ويذكر الذهبي أنه ولد في خلافة عثمان، وهذا يجعلنا نميل إلى قبول الرواية بأنه توفي وعمره ٨٠ سنة، فيكون تاريخ ولادته سنة ٣٤هـ ٦٥٤/ - ٦٥٥م[4].

ووهب من الأبناء، فأبوه منبه من هراة بخراسان أرسل إلى اليمن زمن كسرى أنوشروان وأسلم في حياة النبي ﷺ. ونشأ وهب باليمن وعرف بالميل إلى الزهد. يقول الذهبي: «لبث وهب أربعين سنة لم يسب شيئاً فيه الروح،

---

(١) هوروفتس- المغازي الأول ومؤلفوها، تعريب حسين نصار (القاهرة ١٩٤٩) ص ٢٧ وبعدها.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - مادة «سيرة».

(٣) انظر اليافعي - مرآة الجنان ص ٢٥، والذهبي ZDMG, XLIV ص ٤٣٨؛ وياقوت - أدباء ج٧ ص ٢٣٢؛ ابن قتيبة - المعارف ص ٢٣٣؛ البخاري - التاريخ الكبير ق٢ ص ٤ ص ١٦٤.

(٤) ابن حجر - تهذيب التهذيب ج١١ ص ١٦٨.

ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً»[١] . وتكثر الروايات من الإشادة بتقواه وزهده . وكان قدرياً أول الأمر ثم ترك ذلك بعد قراءاته كتب الأنبياء الماضين كما يقول . ومع ذلك فترد إشارة إلى أنه بقي قدرياً إلى فترة متأخرة من حياته[٢] . وكان يعتقد بالأحلام[٣] .

وولي وهب القضاء لعمر بن عبدالعزيز[٤] . ويدَّعي ياقوت أنه مات على قضاء صنعاء، وهذا غير ممكن[٥] . وقد سجن وهب في الأعوام الأخيرة كما أنه جلد، ولا نعرف بالتأكيد سبب ذلك[٦] .

ومن هنا يتبين أن وهباً كان بعيداً عن مدرسة المدينة، فهو يماني يختلف في وجهته عن أهل الحديث . كان من أصحاب الأخبار والقصص . فياقوت يدعوه «الإخباري صاحب القصص»[٨] ، وابن خلكان يصفه بـ «صاحب الأخبار والقصص»[٩] ، ويؤيدهما الذهبي حين يقول: «كان إخبارياً علامة قاصاً»[١٠] . ولذا نجده موضع اختلاف، يختلف فيه الآخرون[١٠] .

---

(١) الذهبي ZDMG, XLIV ص ٤٣٩ .

(٢) ابن حجر - تهذيب ج١١ ص ١٦٨؛ ياقوت -أدباء ج٧ ص ٢٣٢؛ الذهبي - المصدر نفسه ص ٤٤٠؛ التيجان في ملوك حمير واليمن ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(٣) ابن كثير - البداية ج٩ ص ٣٩٣؛ الذهبي - المصدر نفسه ص ٤٤٠ .

(٤) اليافعي - مرآة ص ٢٤٨-٩ . (٥) ياقوت - ادباء ج ٧ ص ٢٣٢ .

(٦) الذهبي - المصدر نفسه ص ٤٤٢؛ ابن حجر - تهذيب ج١١ ص ١٦٨ .

(٧) ياقوت - أدباء ج ٧ ص ٢٣٢ .

(٨) ابن خلكان ج٢ ص ٢٣٨ .

(٩) الذهبي - المصدر نفسه ص ٤٣٩ .

(١٠) انظر ابن سعد - الطبقات ج٦ ص ٣٨٥-٣٨٦؛ ابن حجر ج ١١ ص ١٦٧ . قال العجلي عنه إنه تابعي ثقة . وقال أبو زرعة والنسائي إنه ثقة . ذكره أبو حيان في الثقات . واعتبره ياقوت «من خيار التابعين، ثقة صدوقاً» . وقال الذهبي - روى عن ابن عباس وجابر . . . على خلاف فيه . وانظر الذهبي - المصدر نفسه ص ٤٣٨ .

أخذ وهب مواده من الروايات الشفوية ومن الكتب. وقد قال بأنه قرأ مجموعة واسعة من كتب الأنبياء يختلف عددها في الروايات بين ٣٠، ٣٢، بضعة وسبعين، و ٩٢ و٩٣ كتاباً. ومن المتعذر قبول مثل هذه الأخبار، كما يبدو من التباين الواسع في عدد الكتب وكما يبدو من نسبتها[١]. وعلى كل فقد اشتهر باطلاعه على كتب الأولين، فيقول ابن خلكان: «كان شديد الاعتناء بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم»[٢]. ويروي أن أخاه كان يشتري الكتب له. ويقول ابن كثير: «له معرفة بكتب الأوائل»[٣]، كما يذكر ياقوت «أن وهباً كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات»[٤].

ويلاحظ من الروايات المنسوبة إليه أن وهباً روى قطعاً من العهد القديم منقولة بصورة حسنة ومقتبسة في تفسير الطبري، وقطعاً من المزامير، وتدل

(١) ابن حجر - تهذيب ج ١١ ص ١٦٧؛ ابن قتيبة - المعارف ص ٢٣٣؛ ابن سعد ج٥ ص ٣٩٥، إسماعيل . . . سمعت وهب يقول: لقد قرأت ٩٢ كتاباً كلها أنزلت من السماء، ٧٢ ص ٢٧٢ منها في الكنائس في أيدي الناس و٢٠ لا يعلمها إلا القليل. ويذكر ياقوت، أدباء ج٧ ص ٢٧٢ على لسانه «قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الانبياء». وجاء في (التيجان) ص٢ على لسانه «قرأت ٩٣ كتاباً مما أنزل على الأنبياء» ويعطي التفاصيل: صحيفتين على آدم، ٥٠ صحيفة على شيث بن آدم، ٣٠ صحيفة على إدريس، صحيفتان على نوح، ٤٠ صحيفة على هود، صحيفتين على صالح، ٢٠ صحيفة على إبراهيم، ٥٠ صحيفة موسى، الزبور على داود، الإنجيل على عيسى، الفرقان على محمد ﷺ؛ السخاوي والإعلان على ص ٤٨ «قرأت ٣٠ كتاباً نزلت على ٣٠ نبياً»؛ الذهبي - المصدر نفسه ص ٤٣٩؛ حلية الأولياء ج١ ص ٢٤ «قرأت نيفاً وتسعين. . إحدى وتسعين».

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٨.

(٣) ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٢٧٦.

(٤) ياقوت - أدباء ج ٧ ص ٢٣٢.

بعض أخباره على معرفته بالتلمود[١] . ويبين هوروفتس أنه روى أسماء سفر التكوين وأشخاصه طبقاً للنص العبري مع ملاحظة تحريفات الترجمة السريانية[٢]. وهناك إشارات تدل على معرفة وهب بالعبرية وربما بالسريانية[٣]. ويبدو أنه أخذ من الإنجيل والكتب المسيحية معلومات عن ميلاد المسيح وحياته[٤]. ثم إن معلوماته عن بداية المسيحية وانتشارها في اليمن تتصل بالنص السرياني لكتاب سمعان مع التنميق التي تتطلبه القصة الشعبية[٥].

ويبدو أن الكثير من معلوماته مستقى من القصص عند المسيحيين واليهود. فيذكر الذهبي أنه كان «شديد العناية «بالإسرائيليات»[٦] . كما أنه أخذ الكثير من القصص الشعبي اليماني كما سنلاحظ فيما بعد.

ولكن بعض معلومات وهب تختلف عن النصوص المقدسة. وقد لاحظ ابن قتيبة الفرق بين معلوماته عن بدء الخليقة وبين سفر التكوين. ومقارنة ابن قتيبة لمعلومات وهب تدلُّ على أنه أضاف مادة إلى ما أخذه عن العهد القديم والنصوص، وعناصر هذه المادة تستند إلى شرح الآيات القرآنية، وإلى

---

(١) جواد علي - موارد تاريخ الطبري ، م. م. ع. ع. ج١ ص ١٩٣ .

(٢) هوروفتس - المغازي الأول ص ٣٣ .

(٣) ورد في التيجان ص ٢٨ «تقينان» عبراني تفسيره باللسان العربي «مشتري» ، «مهليل» عبراني تفسيره باللسان العربي «محمود» ، «مالالي» سرياني تفسيره بالعربية «مسيح الله» .

(٤) الطبري - تفسير ج١ ص ١٠٢ ، قارن بالتكوين إصحاح ١٠ آية ٢١ وما بعدها . وعن مولد المسيح وحياته ، تفسير الطبري ٣/ ١٤٧ ، ٧٧ و ١٦ / ٤٣ .

(٥) A. Moberly, *A book of the Himyarites*, London, 1934.

(٦) الذهبي - نفس المصدر ص ٤٤٠ .

الإسرائيليات وإلى تأملاته في كتب أهل الكتاب[١] . ويلاحظ أن رواياته يعارض بعضها بعضاً مما يدل على أن هذه أصابها التحريف أو الإضافة بعده[٢] . ويعتبر السخاوي روايات وهب غير صالحة للمؤرخين[٣] . ويلاحظ أن وهب لم يكن يترفع عن الادعاء فيما لا يعرف كما في قراءته لكتابة يونانية في مسجد دمشق للوليد بن عبدالملك[٤] .

وتنسب إلى وهب بعض المؤلفات عن فترة قبل الإسلام، مع اختلافات في التسمية . فابن سعد يذكر أنه ألف «أحاديث الأنبياء والعباد، وأحاديث بني إسرائيل»[٥] . وابن النديم يشير إلى «المبتدأ» وينسبه إلى حفيده عبدالمنعم[٦] . وابن قتيبة يشير إلى «قصص الأنبياء» و «مبتدأ الخلق» أو «المبدأ» أو «المبتدأ»[٧]، والمسعودي يشير إلى «المبتدأ»[٨] . ولعل حاجي خليفة يشير إلى أقسام من المؤلف نفسه حين ينسب إلى وهب قصص الأخيار وقصص الأنبياء كما يشير إلى كتاب الإسرائيليات[٩] . ويرى روزنتال أن كتاب الإسرائيليات قد يكون كتاب المبتدأ نفسه[١٠] . ويبدو لنا من هذا ومن المقتطفات التي وصلتنا أن وهباً تناول بدء الخليقة وقصص الأنبياء والعباد . ولم يصلنا كتاب بما ذكر من

---

(١) انظر ابن قتيبة - المعارف ص ٨-٩ ؛ وص ٩ وما بعدها .

(٢) هوروفتس - المغازي الأول ص ٣٢ . (٣) السخاوي - الإعلان ص ٤٨ .

(٤) المسعودي - مروج (باريس) ج٣ ص ٩٧ . (٥) ابن سعد ج ٧ ص ٩٧ .

(٦) الفهرست ص ١٣٨ .

(٧) ابن قتيبة - المعارف ص ١ ؛ ابن حجر - تهذيب ج١ ص ٧٨٨ .

(٨) المسعودي - مروج ج ٥ ص ١٢٧ .

(٩) كشف الظنون (أوربا) ج٥ ص ٤٠ رقم ٩٨٢٦ وج ص ٧٨٨ .

(١٠) انظر ROSENTAL, *History of Muslim Historigraphy, p. 265 note 2.*

و Becker - *Popyrii*, I. p. 8 off,

عناوين، ولكن وصلتنا بعض آثاره مقتبسة في الطبري [التفسير والتاريخ] وابن قتيبة وابن إسحق وغيرهم. وفي حين تردنا الروايات في الطبري على الأكثر عن إسماعيل بن عبدالكريم بن عبد الصمد بن معقل (أخي وهب) عن وهب، نجد كتاب التيجان برواية عبدالمنعم (ت٢٢٨هـ) ابن إدريس ابن ابنة وهب.

ولا بد أن نلاحظ أن روايات وهب وقصصه أصبحت، كما يبدو، إرثاً لعائلته التي حاولت نشرها وربما الإضافة إليها على يد عبدالمنعم بن إدريس وإسماعيل ابن عبدالكريم بن معقل بن منبه (ت ٢١٠هـ)، ولعلهما لجأا إلى الوضع لتمجيد اسم وهب[١]. ومن ناحية أخرى صار وهب علماً في الإسرائيليات ويحتمل أن آخرين أضافوا إليه أو عدلوا في قصصه لأننا نحس تناقضًا في الروايات المنسوبة إليه في المصادر الأولى مثل الطبري وابن قتيبة والمسعودي[٢].

ولنحاول تكوين مخطط أولي لمبتدأ وهب من مقارنة القسم الأول من كتاب التيجان بالروايات المنسوبة لوهب في تفسير الطبري وتاريخه وابن قتيبة:

(١) عمر الأرض، وخلق السموات والأرض والبحار في سبعة أيام[٣].

---

(١) عبدالمنعم بن إدريس قاص مشهور، وضع قصصاً واشترى كتباً من ضمنها كتب السير وروى من قصصها ونسب ذلك إلى جده الأعلى وهب. انظر لسان الميزان لابن حجر ج٢ ص ٧٣، وتهذيب التهذيب ج١ ص ٣١٥، وجاء في ابن سعد ج٥ ص ٣٩٥ حديث «يكون في أمتي رجلان أحدهما وهب بهب الله له الحكمة» وهو كما يلاحظ موضوع لتمجيد وهب.

(٢) انظر مادة «وهب بن منبه» في دائرة المعارف الإسلامية.

(٣) انظر الطبري - تفسير ٤/ ١٢، وابن قتيبة - المعارف (مصر) ص ٨-٩؛ الطبري - تاريخ ج١ ص٣٦-٤٠.

قصة آدم وحواء في الجنة[1] . هبوط آدم إلى الأرض، ومعرفته بأن أولاده يعمرونها، وأن الله سيجعل بمكة «البيت حرماً آمناً»[2] . أولاد آدم[3] .

(٢) نوح وأولاده وانتشار ذريته في الأرض، والأقوام التي تنسب إليهم وألسنتهم[4] .

(٣) ويتابع وهب التوراة في قصص الأنبياء خاصة بني إسرائيل مع تفسير الإشارات القرآنية فيذكر إسحق بن إبراهيم وقصة يعقوب بن إسحق والأسباط من ذريته[5] ، وقصة موسى وهرون، وموسى في الوادي المقدس وموسى وعصاه، وسحرة فرعون، وبقرة بني إسرائيل، ووفاة موسى[6] .

(٤) توالي الأنبياء في بني إسرائيل. شدة أصابت بني إسرائيل وإنقاذهم على يد النبي حزقيل[7] . كثرة الخطأ في بني إسرائيل وقصة التابوت والسكينة ودورهما في نصر بني إسرائيل. زوال التابوت ودور محنة

---

(١) الطبري - تفسير ٧ / ١٠٦ ، ٨ / ١٨٤-١٨٥ ؛ الطبري ج ١ ص ١٠٦ .

(٢) الطبري - تاريخ ج ١ ص ١٣٠- ١٣١ .

(٣) ابن قتيبة - المعارف ص ١٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ١١-١٤ ؛ الطبري - تاريخ ج ١ ص ٢١١ .

(٥) ابن قتيبة ص ١٦-١٧ .

(٦) انظر ابن قتيبة ص ٢٠ ؛ الطبري - تاريخ ج ١ ص ٤٧١-٤٧٤ ؛ الطبري - تفسير ج ١٦ ص ١٠٧-١٠٨ ، ج ١٦ ص ١١٨-١١٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ج ١ ص ٢٨١-٢ وج ٢ ص ٣٧٣-٤ ، ٣٨٥-٣٨٦ ، ٣٨٨ .

(٧) الطبري - تاريخ ج ١ ص ٥٣٦ ، ٥٣٩ .

لمدة ٤٠٠ سنة حتى ظهور النبي شموئيل ورجوع التابوت. شموئيل يبارك طالوت ويصير ملكاً ولكنه لا يحقق المشيئة فتنتقل البركة إلى داود الذي يقتل جالوت ويصير ملكاً. تفاصيل عن داود[١]. سليمان وصلته ببلقيس[٢]. ولد سليمان ومن بعده إلى زمن أرميا وخراب بيت المقدس على يد بختنصر[٣].

(٥) أنبياء إسرائيل التالين[٤]. ولادة السيد المسيح ومعجزاته، ودعوته لأصحابه إلى العشاء الأخير، ونبوءة المسيح عن أصحابه[٥].

وبصورة عامة يورد وهب قصص الأنبياء بصورة موافقة في خطوطها العامة لما جاء في كتب أهل الكتاب وقصصهم. وفي كتاب (التيجان) نجد قصصاً عربية عن بدء الوثنية[٦] وعن عاد وعن مدينة إرم[٧]. كما أخذ ابن قتيبة عنه في قصة إبراهيم ونمرود وهجرته وقصة إسماعيل[٨]، وكذا أصحاب أهل الكهف، وشعيب ومدين[٩]. وقد حدد ابن خلكان إطار اهتمامه حين قال

---

(١) الطبري - تاريخ ج ١ ص ٥٠١-٥٠٤، ٥٦١ وما بعدها، ٥٧١-٢، ٥٧٢ وما بعدها؛ الطبري تفسير ج٢ ص ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٦؛ ٣٩٨-٣٩٩.

(٢) الطبري - تفسير ج ١٩ ص ٩٦-٧، ٩١، ٩٠، ٨٨، ٨٦، ٨١-٨٢.

(٣) الطبري - تفسير ج٣ ص ٢٠، ٢٢-٢٣؛ ابن قتيبة ص ٢٠-٢٢.

(٤) ابن قتيبة ص ٢٢-٢٤.

(٥) الطبري - تفسير ج ١٦ ص ٤٩، ١٦١، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٣، ٣٩٠ وج ٦ ص ٢٠٥.

(٦) التيجان ص ٢٠٣ وما بعدها، ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٧) المصدر نفسه ص ٣٩-٤١.

(٨) ابن قتيبة - المعارف ص ١٥-١٦.

(٩) المصدر نفسه ص ١٩، ٣٥.

«وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك»[1]. ويبدو أن ابن خلكان نظر إلى أخباره عن ملوك اليمن إضافة إلى ما ذكرنا.

وقد ذكر ياقوت أن وهب بن منبه ألف كتاباً عنوانه: «كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم»[2]. وقد رأى ابن خلكان هذا الكتاب ووصفه بأنه «من الكتب المفيدة»[3]. ويحتمل أن هذا الكتاب كان الأساس لكتاب «التيجان في ملوك حمير واليمن» الذي رواه هشام منسوباً إلى وهب عن طريق عبدالمنعم بن إدريس.

يتناول القسم الأكبر من كتاب (التيجان)قصة عرب الجنوب وماضيهم وأمجاد ملوكهم وهجرتهم وقد جاء الكتاب بأسلوب قصصي مؤثر يشبه قصص قبل الإسلام، فهو شبه أدبي ويتمشى في شعره ونثره مع أسلوب قصص الأيام.

ويقدم هذا الكتاب أسطورة يمانية شعبية مجيدة هدفها كما يبدو أن تعطي صورة رائعة لعرب الجنوب تجابه التفوق العام لعرب الشمال، وتعكس صورة للتفاخر بين الاثنين. فالكتاب يظهر «حمير في الأرض كالسراج المضيء في الليلة الظلماء»[4]. ونسمع بأن عرب الجنوب عرفوا التوحيد قبل الناس[5] وأن

(١) ابن خلكان - وفيات ج٢ ص ٣٨٢.

(٢) ياقوت - إرشاد ج٦ ص ٢٢٢.

(٣) ابن خلكان - وفيات ج٢ ص ٣٨٢.

(٤) التيجان ص ٦٢.

(٥) مثلاً يبين أن يعرب خليفة نبي الله هود «وقام بأمر الله بعده» - التيجان ص ١٦. الصعب ذو القرنين، يشبه سليمان في أنه «تسخر له البهائم والأنعام والطير والهوام والوحوش» ص ٤٦ وحتى الريح تطيعه ص ٨٦-٨٧، ويصف (الصعب) بأنه نبي غير مرسل وكذلك لقمان ص ٣٥، ٧٠.

الصعب ذا القرنين كان يدعو في حروبه «إلى السيف أو الإيمان»[١] . ونلاحظ تقديس اليمانيين للكعبة وحج بعض ملوكهم إليها[٢] . وقام ملوكهم بفتوحات عظيمة في أرجاء الأرض[٣] . وينسب إلى أهل النبي السبق في استعمال الخط العربي[٤]، ونظم الشعر بالعربية وعنهم أخذ عرب الشمال بعدئذ[٥]. ويؤكد على معرفتهم الحكمة[٦] وعلى مهارتهم وتفوقهم في الصنعة وعلى أن الناس تعلموها منهم[٧].

ومن هذا يتضح تمجيد الكتاب لليمانيين وإظهارهم بمظهر السابق في التوحيد والفتوحات واللغة والأدب والحكمة والصنعة. ومن الصعب تحديد دور وهب فيما ذكر ولكنه على كل حال له أثر قوي[٨] . وعلينا أن نلاحظ أن الكتاب يحوي قصصاً تعود لابن إسحق (عن طريق تلاميذه كالبكائي وأبو عباد

---

(١) التيجان ص ١٠١ وكان الخضر يرشده في فتوحاته .

(٢) التيجان ص ٣٥ .

(٣) مثلاً عبد شمس بن يشجب واسمه سبأ فتح بابل وأرمينية والشام ووصل النيل وبني مصر ص٤٧-٤٨ . حمير أمعن في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس وفتح الشام والحبشة ومصر والمغرب إلى المحيط ص ٥٢-٥٣ . الصعب ذو القرنين فتح في الغرب - السودان والحبشة والأندلس، وفي المشرق أرمينية وسمرقند وباب الأبواب ويأجوج ومأجوج، وبنى السد بينهم وبين الناس، وفتح الهند والصين وأخيراً وصل ماء الحياة ص ٨٦-١٠٧ .

(٤) التيجان ص ٥٤ .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٥

(٦) انظر المصدر نفسه ص ٧٠، ٧٣، ٧٤ . وهم أول من رجم في الحد حد الزنا، وأول من قطع يد السارق .

(٧) التيجان ص ١٦٢ .

(٨) انظر لطائف المعارف للثعالبي ص ٢٦ حيث يدافع وهب عن اليمانيين بقوة .

الهمداني)[١] ، وإلى أبي مخنف[٢] ، وإلى محمد بن السائب الكلبي[٣] وإلى عبيد بن شريه[٤] وإلى كعب الأحبار[٥] وآخرين غيرهم[٦] . ويرد قسم كبير من الكتاب دون ذكر مصدر ولعل بعض هذا أو أكثره يرجع لوهب بن منبه .

وقد ألف وهب في المغازي، وأشار إلى ذلك حاجي خليفة[٧] . ووجد بيكر قطعة من مغازيه كما يبدو على ورق البردي مكتوبة بتاريخ ٢٢٨هـ وهي برواية عبدالمنعم بن إدريس وتبدأ بـ «حدثني محمد بن بحر أبو طلحة قال حدثنا عبدالمنعم بن إدريس عن أبيه عن أبي إلياس عن وهب بن منبه»[٨] . وهي تتناول المواضيع التالية : بيعة العقبة الكبرى، حديث قريش في دار الندوة، الهجرة ووصول النبي إلى المدينة، وغزوة بني خيثمة . وترجع الأخبار إلى وهب دون سند . وفيها نجد قصائد الوثنيين الذين ساهموا في الحوادث على غرار أسلوب الأيام . ولا ندري إن كان وهب أهمل الإسناد كلياً، إذ إن صاحب حلية الأولياء أورد قطعتين لوهب الأولى تتعلق بفتح مكة[٩] والأخرى بوفاة الرسول [١٠] ذكر فيهما الإسناد مع العلم أن الرواية تأتي عن طريق

---

(١) التيجان ص ٦٥-٦ ، ٧٥، ١١٥، ١٢٨، ٢٥١ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٥، ١٨٠ ، ١٨٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٢، ٢١٢، ٢١٣، ٢٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ص٦٦ ، ٢٠٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ١١٠-١١٢ .

(٦) المصدر نفسه ص ١١١، ١٣٥، ١٦٤، ٢٣٣ .

(٧) حاجي خليفة - كشف ج٢ ص ١٧٤٧ .

(٨) GROHMANN, *Arabic Papyrii*, p. 4. وانظر C. BECKER, *Papyrus Schott Reinhardt* p. 1-3.

(٩) أبو نعيم الاصفهاني - حلية ج ٤ ص ٧٩ .

(١٠) المصدر نفسه ج٤ ص ٧٣ .

عبدالمنعم بن إدريس. وأسلوب القطعتين هو عين أسلوب القصص الشعبي مع طابع أسطوري واضح.

والمهم هنا أن مغازي وهب بن منبه لا يشار إليها في كتب السيرة ولم ينظر إليها نظرة جدية. ووجهتها تختلف كلياً عن وجهة مدرسة المدينة. لقد كان وهب بن منبه، كما لاحظنا، قاصاً قدم في مبتدئه وفي أخباره عن اليمن أقاصيص وأساطير أوردها وكأنها تاريخ. وبهذا أدخل عنصر القصة إلى حقل التاريخ كما يتبين من الروايات المأخوذة عنه لفترة قبل الإسلام، في ابن إسحق واليعقوبي وابن قتيبة والطبري والمسعودي. كما أنه أثر في قصص الأنبياء كما في كتب الكسائي والثعلبي.

ويبدو أن القُصَّاص، سواء أكانوا شعبيين أم من الوعاظ أثروا في نبرة الكتابة عن السيرة أحياناً في فترات تالية بإدخالهم شيئاً من الميل للمبالغة وللخيال. ولكنهم على كل حال لم يعتبروا مؤرخين ولم يوجدوا وجهة تاريخية في كتابة السيرة. ولا يخفى أن القصص الشعبي عن السيرة وعن المسلمين الأولين هو امتداد للقصص القديم في أسلوبه، وهذا ما لم ترض به مدرسة المدينة للمغازي. ويمكن التأكيد إذن على أن خطوط السيرة وموادها لم تأت عن طريق القصاص، بل إن ذلك كان عمل أهل المغازي من المحدثين ومن سار طريقتهم في المدينة.

إن دور وهب بن منبه إذن هو في أنه كان أول من وضع هيكلاً- وإن كان قصصياً- لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام، وقد أخذ عنه أو تأثر به من ناحية المادة أو الهيكل بعض المؤرخين التالين.

ملحق ١

آل وهب

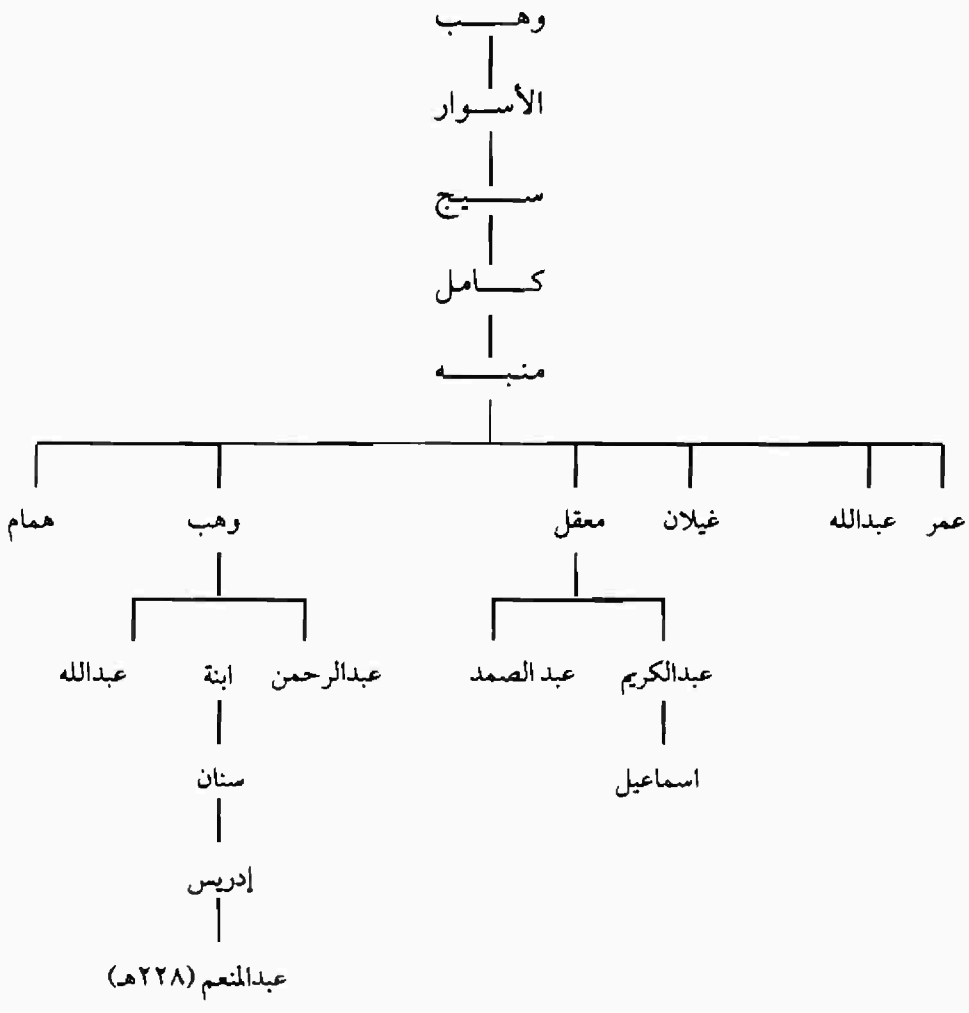

(CHAUVIN, *La Recension Egiptienne de 1001 nuits*, Paris, 1899. انظر)

ملحق ٢

قطعة من مغازي وهب بن منبه نشرها بيكر من أوراق البردي في مجموعة Papyrus Schatt Reinhardt

بسم الله الرحمن الرحيم - حدثني عمر بن بحر أبو طلحة قال حدثنا عبدالمنعم بن إدريس عن أبيه عن أبي إلياس عن وهب بن منبه (ص١).

قال فلما كان في الموسم المقبل حج من الأنصار اثنان وسبعون رجلاً أصغرهم عقبة بن عمرو فلقي رسول الله من لقيه منهم . . بمدد من القوم وعددهم.

فواعدهم صلى الله عليه أوسط ليالي التشريق بالعقبة، فجاءهم رسول الله ومعه علي بن أبي طالب وأبو بكر وعمر فلما رأوه قاموا إليه وسلموا عليه وحيوه بتحية النبوة فقال رسول الله . . ودعا لهم وشكا إليهم ما تلقا (تلقى، تلقاه) من جهال قريش فتحيوا رسول الله لك عندنا السعة ولأصحابك المؤاسا(ة) . . نصرك ونرى تلك كرامة أكرمنا الله بها قال فبينا هم كذلك إذ ضم (؟) بهم العباس (؟) . . فقال من هذا المتكلم محمد أنت قال نعم قال فمن هو . . (لعله: هؤلاء) قال أخوالي وأخوالك الأوس والخزرج قد آمنوا بالله ورسوله وزعموا وهم فاعلون أنهم . . وينصروني ويخرجوني معهم إلى بلادهم. قال فأباح (لعله : أناخ) العباس رحلته (لعله : راحلته) ثم قال يا معاشر بني قايلة (لعله: قيلة) إن هاذا محمد بن أخي أحب الناس منهم إلي وأكرمهم علي وأفضلهم . . وما (؟) أنفعهم (؟) فإن كنتم قد آمنتم به وصدقتموه فإنه (؟) . . ابن أخي موثقاً . . إليه نفسه ويكون الله بينكم وبينه

شهيداً ألا تخذلونه ولا [. . .] ولا [. . .] رون به فإن جيرانكم في بلدكم يهود وهم له أعدى ولم . . . وهم عليه (ص٢).

قال فا [. . .] ذلك على النبي لانه كان متهم لهم عليه فقال أسعد [بن زرا] رة يرسول الله إيذن لي أجيبه غير مخشن صدرك ولا متعرض بيننا مما كره إلا لتصديق إيماننا بك فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- أجيبوه وابسطوا ألسنكم غير مقصرين ولا متهيبين فقام أسعد بن زارة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله جعل لكل دعوة سبيلاً إن شدة وإن لين. وإنك دعوتنا يا رسول الله ونحن في دار عز ومنعة لايستطيع أن يرؤس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه أعمامه وأجبناك إلى ذلك ودعوتنا إلى ترك ديننا ودين آبائنا فأجبناك إلى ذلك وفي ذلك عداوة العرب والعجم والناس كافة وتلك رؤيته (؟) صعبة لا يقوم بها إلا من عزم الله [أو : ربه] له على الرشد ودعوتنا إلى معاداة العرب والعجم وأجبناك إلى ذلك ثم أقبل على العباس فقال أيها المتعرض لنا دون رسول الله فقد صدقنا (لعله : صدقناه) وكذبته وآمنا به واتبعناه وأبيت ذلك وأما قولك إنه أحب الناس إليك فنحن له أشد حباً قطعنا فيه القريب والبعيد وكرهت ذلك وأما قولك إنه أكرم الناس عليك وأفضلهم لربك فنحن له أشد حباً وأولى به بذلك وأما قولك إنك لا تصدقه بما يقول فإن الله لا يذله بذلك ولا يعزك به أشترط يحمد لربك ماشئت ولنفسك ما أحببت فقال النبي أشترط لربي أن تعبدونه ولا تشركون به شيئاً ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناكم ونساكم على ذلك تبايعون الله. . قال فقام العباس فقال عليكم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهودكم لتشدن به أزره ولتجدن في نصره، [انظر الحلبي ج٢ ص١٧، ص١٨، ص١٩ للمقارنة] (ص٣) ولتمنعنه مما تمنعون منه

أنفسكم وأبناكم ونساكم على ذلك تبايعون الله ربه وربكم فلذلك أجابوا أنهم على الوفى والصدق له ولرسوله حيوا على دين وماتوا عليه قال ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فأخذ يصا[فح] النبي عليه السلام وأقبل بوجهه على أصحابه فقال: اللهم نعم قال: فإن كنتم تاركيه أو خاذليه لشيء من الأمر ينزل بكم . . فإنه في بلده وعشيرته و . . . الله . . . وأنتم بالصدق لله ورسول حيوا على دين وماتوا عل[يه] فقال عبدالله بن رواحة إذا أعطيناك يرسول الله هذا . . . أعطيناك فما لنا قال الجنة فقال يا أبا الهيثم خل بيننا وبين رسول الله حتى نبايعه قال فسبقه أبو الهيثم فبايع رسول الله فقال أبايعك يرسول الله على ما بايع النقباء من بني إسرائيل موسى بن عمران وقال عبدالله بن رواحة أبايعك يرسول (ص٤) الله علي ما بايع الحواريون عيسى بن مريم وقال أسعد بن زرارة أبايعك يرسول الله على أن أصدق قولي بفعلي في نصرك وأتم عهدي بوفاي ومؤازرتك فقال عبادة بن الصامت أبايعك يرسول ا لله على أن لا أعصي أمراً ولا أكذب إيماني (؟) وقال سعد بن ربيع أبايعك يرسول الله على أن لا أبالي في الله لومة لائم.

أصول مدرسة التاريخ في العراق
(نشأتها وتطورها حتى القرن الثالث الهجري)

إن علم التاريخ عند العرب جزء من الثقافة العربية، ولا يمكن فهمه إلا بالإشارة إلى الفعاليات والتطورات الثقافية الأخرى. ولا تؤدي دراسته وحده إلا إلى فهم مرتبك مبتور لأصوله وتطوره:

وقد بدأ علم التاريخ عند العرب بعد ظهور الإسلام، أما الفعاليات الجاهلية -كقصص الأيام والأنساب- فإنها تشير إلى جانب من اهتمام العرب، وبداية أسلوب في رواية الأخبار ولكنها لا تنطوي على فكرة تاريخية.

سارت الدراسات التاريخية في بداياتها في اتجاهين عامين متميزين الواحد عن الآخر: اتجاه أهل الحديث، والاتجاه القبلي الذي كان لحد ما استمراراً للفعاليات القبلية السابقة. وهذان الاتجاهان يعكسان تيارين أساسيين في مجتمع صدر الإسلام -الاتجاه الإسلامي والاتجاه القبلي- أثرا في مختلف جوانب الحياة. وتمثل النشاط في كل من الاتجاهين في مصر من الأمصار، فكانت المدينة، مهد الإسلام، المركز الأول لاتجاه أهل الحديث، بينما كانت البصرة والكوفة، مقر الحاميات القبلية وموطن التقاليد القبلية، المركز الأول للاتجاه القبلي. وكانت المدينة والكوفة والبصرة مراكز الحياة الثقافية في صدر الإسلام.

وليس الاتجاه الإسلامي موضوع بحثنا هنا. ويكفي أن نقول إنه بدأ عند

المحدثين الذين وجهوا اهتماماً خاصاً إلى سيرة الرسول (ابتداءً من عروة بن الزبير) والذين تدرجوا بسرعة إلى دراسة تاريخ صدر الإسلام وكونوا مدرسة من مؤرخي المغازي. وإضافة إلى ذلك رويت قصص وأخبار عن الرسول والفتوحات، ونشرت، ولكن هذا القصص لم يؤد إلى اتجاه تاريخي، ولكنه هيأ فيما بعد مادة تسربت إلى البعض من المؤرخين - خاصة ابن إسحق، ولكنها بقيت موضع الشك والحذر لدى المؤرخين الجديين. ويظهر جدُّ هذه المدرسة وتدقيقها في تأكيدها على السنة في نقد الرواة. وبنهاية القرن الأول الهجري استقرت الخطوط العامة للسيرة وجمعت الروايات الأساسية عنها، ولكن كثيراً من القصص تسرب فيها بعد، وبان تحول في الاتجاه من رواية أخبار بسيطة واقعية إلى روايات فيها التمجيد و بعض المبالغة. وظهرت فكرة كتابة الروايات في فترة مبكرة نسبياً ،وما انتهى القرن الأول الهجري حتى استقر استعمال الكتابة على يد الزهري، ومنذ ذلك الوقت صارت الروايات تؤخذ شفاهاً أو من مصادر مكتوبة .

وبدأ الاتجاه القبلي في دراسة التاريخ نتيجة الاهتمام بالفعاليات والشؤون القبلية. وكان استمراراً مباشراً لقصص الأيام (ولروايات الأنساب) في الأسلوب والنظرة موجهاً إلى الأيام الجديدة، أو المعارك والفتوحات في الإسلام.

وكانت الثقافة العربية شفوية في أساسها، تعتمد على الشعر لوثائقها ونجد فيه خير وسيلة لحفظ التراث. أما الإشارات إلى سجلات ووثائق لدى ملوك

الحيرة والحميريين في اليمن، وإلى سجلات وأنساب مدونة لدى بعض العوائل اليمنية والتي أفاد منها بعض المؤرخين فيما بعد فهي حالات استثنائية[١].

وكانت الأخبار تروى بالدرجة الأولى في المجالس القبلية، وتعتبر عادة ملكاً مشتركاً للعائلة أو القبلية. وكان بعض الأفراد مثل رواة الشعر أو مشايخ القبائل الرواة الأساسيين لها. ولم يكن لهذه الأخبار أو الروايات في البدء أسانيد، بل استمرت جزءاً من الثقافة العامة وتهم الجميع. وقد استمرت مثل هذه الروايات الشفوية مع كثير من الشعر تتداول في المجتمع الإسلامي الأول كما كان الوضع قبل الإسلام[٢]. وصارت الكوفة والبصرة، وهي مراكز قبلية كبرى وعلى صلة مباشرة ومستمرة بالصحراء، مراكز فعالة لتداول هذه الروايات والأخبار.

إلا أن ظهور الإسلام واستقرار القبائل في الأمصار، جمع القبائل في منطقة واحدة، وأوجد نواحي اهتمام جديدة لدى القبائل، وأدخل أوليات الكتابة والقراءة. ولدينا أدلة وافية على استعمال الكتابة لإعانة الذاكرة أو لحفظ الروايات قبل نهاية القرن الأول الهجري وخلال النصف الأول للقرن الثاني الهجري[٣]. وهكذا بدأ ظهور روايات مسجلة جنب الروايات الشفوية.

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة نسمع بوجود أشياخ ورواة متضلعين بأنساب ومآثر قبائلهم، وبوجود كتب تحوي أنساباً وشعراً وربما أخباراً لبعض القبائل. ومن المحتمل أن هذه الكتب كانت قد جمعت من قبل بعض الرواة ولكنها

---

(١) انظر الطبري ج٢ ص ١٢٣ ط. القاهرة : ابن هشام - السيرة ج ١ ص ١ ، ٣٨١ ط. القاهرة؛ الهمداني - الإكليل١ ص ٥، ج ١٠ ص ٣٠-١ ، وص ١١١-١١٢ .

(١) انظر السيوطي - المزهر ج ١ ص ٢٤٨-٩؛ ج٢ ص ٣٥٥؛ الجاحظ - البيان ج ٣ ص ٣٦٦ .

(٢) ابن النديم ص ٩-١٠، ص ١٣٢، الأغاني ج٤ ص ٢٥٣، تذهيب التهذيب ج٢ ص ٢١٦ .

كانت تعتبر ملكاً مشتركاً للقبيلة. فالشاعر الطرماح (١٠٥هـ) يشير إلى كتاب تميم، وحماد الراوية (ت١٥٦هـ) كانت لديه كتب قريش وثقيف[١].

وعن هؤلاء الرواة وفي هذه الكتب توفرت مادة تاريخية للمؤرخين فيما بعد.

وحوالي منتصف القرن الثاني للهجرة نجد رواة و«إخباريين» و«نسابين» و«لغويين» علماء خلفوا مؤلفات تاريخية أو ثروة من الروايات التاريخية. وكانت تلك الفترة فترة علماء رواد في مختلف الحقول -بدؤوا يجمعون الشعر والأخبار والحديث. فقد جمع أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ / ٧٧٠) وحماد الرواية (ت ١٥٦ / ٧٧٤) الشعر والأخبار ومواد عن الأنساب العربية (قبل الإسلام) من رواة القبائل ومن كتبها بالدرجة الأولى، واستعانوا بالكتابة لحفظ بعض إنتاجهم[٢].

وإلى هذه الفترة أيضاً تعود المجموعات الأولى للحديث، وقد عملت في أمصار مختلفة، وإليها أيضاً تعود المؤلفات الأولى التي وصلتنا عن السيرة. وهذا ما يشير إلى ظاهرة عامة في التطور الثقافي وهي ظاهرة الجمع وقد أخذ التاريخ نصيبه فيها. فكان الإخباريون والرواة العلماء مؤرخينا الأولين.

وكما نجد في الكتابة التاريخية عن السيرة أسلافاً لابن إسحق -كالزهري- اعتمد عليهم لحد كبير، كذلك نلاحظ أن الإخباريين أخذوا كثيراً من بعض

---

(٣) انظر الأغاني ج٦ ص ٩٤، ج٤ ص ٢٣٧، ابن عبدالبر - القصد والاستطراد ص ٤٣.

(١) انظر ابن سلام - طبقات الشعراء ص ٤٠، السيوطي - المزهر ج٢ ص ٣٠٤، ابن سعد ج٧ قسم٢ ص٤٢ - مختارات ابن الشجري ص ١٢٣، ١٢٧، ١٣٦؛ الأغاني ج٣ ص ٣٢٢.

الرواة. فمثلاً بين أكثر من ستين راوية أخذ عنهم سيف بن عمر (كما نراه في الطبري)، نجد هذا يعتمد بصورة خاصة على راويتين: طلحة بن الأعلم ومحمد بن عبدالله، إذ أخذ أكثر من مائة رواية عن كل منهم. ومن الأمثلة الأخرى اعتماد هشام ابن الكلبي على ابن أبي صالح في أخبار الأنبياء، واعتماد المدائني على أبي الذبال والمفضل الضبي في أخبار خراسان. ويلاحظ أن هؤلاء الرواة اهتموا بالحوادث أو الأمور العامة لا بأخبار قبيلة خاصة كما هو الحال في السابق وبذلك ساروا خطوة مهمة. وفي المنزلة نفسها يمكننا وضع بعض النسابين الذين تجاوزوا حدود قبيلة واحدة في تآليفهم. ومع ذلك فقد استمر وجود رواة للقبائل.

إذن كان الإخباريون المؤرخين الأولين في الاتجاه القبلي، وهم يختلفون عن الرواة الذين كانوا يروون روايات عن حوادث معينة، في أنهم اتجهوا إلى جمع روايات تتعلق بموضوع أو حادث، ووضعها بكتاب متسلسل. ومن هؤلاء الأخباريين أبو مخنف (ت١٥٧ / ٧٧٤)، وعوانة بن الحكم (ت ١٤٧ / ٧٦٤)، وسيف بن عمر (ت ١٨٠ / ٧٩٦)، وأخيراً شيخ الإخباريين المدائني (ت ٢٢٥ / ٨٣٩).

لقد أبدى هؤلاء الإخباريون عناية بشؤون الأمة جنب اهتمامهم الخاص بشؤون العراق، فنلاحظ لديهم فكرة وحدة تجارب الأمة واتصالها، كما نرى فكرة ترابط التاريخ العربي؛ فنجد سيف بن عمر يربط الردة بالفتوحات. ويتناول عوانة بن الحكم التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري -الخلفاء الراشدون: الردة والفتوحات والفتنة؛ وتاريخ العراق وسورية حتى خلافة عبدالملك. ويتناول أبو مخنف تاريخ صدر الإسلام حتى صفين، ثم يتابع

حوادث العراق حتى نهاية العصر الأموي. أما المدائني فيجول في تاريخ العرب كله -السياسي، والأدبي والاجتماعي- مبتدئاً من الجاهلية ومستمراً حتى مطلع القرن الثالث الهجري.

وهكذا نجد الأمة، لا القبيلة، محور الاهتمام. كما نلاحظ آراء تاريخية أخرى في مؤلفات الإخباريين. فنلاحظ التصادم بين فكرة الجبر في الشؤون العامة كما يروجها الأمويون وفكرة حرية الإرادة والمسؤولية البشرية كما ترى الأحزاب المعارضة؛ فعوانة بن الحكم يعرض الوجهة الأموية في بعض رواياته - فهذا يزيد ينسب السلطان الأموي إلى مشيئة الله[1]، وهذا عثمان يتنبأ بأن السلطان سيؤول إلى عبدالملك وولده[2]. هذا بينما نجد أبا مخنف يعبر عن الوجهة الأخرى وخاصة حين نتمعن فيما يورده عن حركة الحسين وعن حركة التوابين.

وهناك فكرة الدولة والتأكيد على حقوق الإمام - من الزواية الأموية- والولاء والطاعة له تجاه وجهة النظر القبلية أو الحزبية التي تضع ولاءات أخرى (إقليمية، قبلية . . إلخ) فوق الدولة، وهذه تنعكس في التواريخ المذكورة فالثورات ضد الأمويين لا تعتبر غير مشروعة، إن لم تمدح أو تفسر تفسيراً ودياً. وحتى حين ينتقد خروج معاوية على عليّ - كما هو الحال في كتاب صفين لنصر بن مزاحم - فإن هذا النقد يستند إلى أساس حزبي لا إلى فكرة الدولة[3]. وعلى ذلك فإن آثار الإخباريين الباقية لدينا تظهر كثيراً من

---

(١) الطبري س ١١ ص ٣٧٨.

(٢) البلاذري - أنساب ج ٥ ص ٢٢٠.

(٣) انظر الطبري ج٢ ص ٣-٤ حيث يفضل إمام الضلالة على عدم وجود إمام.

الاعتدال. إذ إن أولئك المؤرخين لم يهبطوا إلى مستوى حزبي في كتاباتهم، ولم يكونوا ممثلين لوجهة نظر واحدة. ومن المحتمل أن بعض الروايات المتطرفة في مؤلفاتهم قد أهملت خلال عملية الانتقاء التي قام بها المؤرخون التالون [كالطبري والبلاذري] الذين حفظوا لنا آثارهم. ولكن الأرجح أن تفسير ذلك يعود إلى الأهمية التي أعطيت للرواية أو الخبر مقابل الرأي، وإلى روح الضبط ا لتاريخي التي فرضتها نظرة العلماء والمحدثين إلى الروايات.

وكان للحزبية وللإقليمية وللقبلية أثرها في الكتابات التاريخية. فنرى في أبي مخنف ميولاً علوية[1]. وميولاً عراقية[2] حيث يورد الرواية: «أدركت الناس وهم يقولون: إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسين بن علي وقتل حجر ابن عدي ودعوة زياد] وشيئاً من تمجيد القبائل. ففي أخباره عن صفين نجد تأكيداً واضحاً على المآثر القبلية. أما سيف فيوضح دور القبائل في فتح العراق ويؤكد على دور تميم[3]. ويعتبر عوانة عثمانياً في ميوله. فهو يعطي بوضوح روايات أموية وأحياناً روايات داخلية عن الأسرة الأموية[4]. ومع ذلك فبعض رواياته تعكس وجهة معاكسة للأمويين[5].

قام الإخباريون بجهود كبيرة على نطاق واسع لجمع الروايات والأخبار. فنجدهم يستفيدون من الروايات العائلية، والروايات القبلية في العراق، ومن

---

(١) انظر الطبري ج٢ ص ١٨٢-١٨٦، ج١ ص ٢٣٣٧، ٣٢٧٦، وج٢ ص ٣٠٧-٨.

(٢) انظر الطبري ج١ ص ٣٢٢١-٢، وخاصة ج٢ ص ١٤٥.

(٣) انظر الطبري ج١ ص ٢٠٦٨-٩ وأهمية القعقاع بن عمرو التميمي.

(٤) انظر البلاذري - أنساب ج٤ ص ١ و٣١، طبري ج٢ ص ١٣.

(٥) الطبري ج ١ ص ١٨٣٧؛ البلاذري - أنساب ج٥ ص ٣٦٩.

عدد كبير من الروايات عن الأفراد. وكان عليهم أن يكملوا هذه الروايات بروايات أمصار أخرى حول الحوادث التي درسوها، وهكذا نجد روايات من الشام والمدينة والجزيرة العربية. وهذا واضح في آثار الإخباريين. فأبو مخنف أورد روايات لأشياخ من قبل قبائل الأزد ونمير ومحارب وتميم، كما أورد روايات عائلية[١]. ويورد روايات عن أفراد ساهموا في الحوادث نفسها، إضافة إلى عدد كبير من الروايات الفردية[٢]. وكانت مصادره عن صفين وعن مجيء مسلم بن عقيل إلى العراق وعن فاجعة كربلاء في جملتها كوفية، ولكنه أضاف إليها روايات شامية وروايات مدنية[٣]. ويعتمد سيف بن عمر خاصة في الفتوحات، على روايات كوفية ويكملها ببعض الروايات المدنية والشامية. أما في الردة فيعتمد على روايات من الكوفة والجزيرة العربية والمدينة. ومن رواته المدنيين هشام بن عروة وموسى بن عقبة. ويرجع في كثير من الروايات إلى مساهمين في الحوادث[٤].

ويعتمد عوانة بن الحكم على روايات عائلية وعلى روايات قبيلته كلب، وعلى روايات قبلية أخرى وعلى عدد كبير من الروايات الفردية، وعلى كثير من الروايات الشامية والأموية[٥].

وبالإضافة إلى ما ذكر نجد الإخباريين يستعملون وثائق رسمية، من رسائل

---

(١) الطبري ج ١ ص ٣٢٦١، ٣٣٠٣، ٣٣٠٩، ٣٣٠٢.

(٢) انظر الطبري ج ١ ص ٣٢٠٢-٣.

(٣) انظر الطبري ج٢ ص ٢٧٩، ٤١٠-٤١٤، ٣٧٦، ٤٧٩.

(٤) انظر الطبري ج١ ص ١٧٨٦، ١٧٩٧، ١٩٣١-٦، ١٩٤٧-٨.

(٥) انظر الطبري ج٢ ص ٧٨٥، ٧٩١-٥، البلاذري -أنساب ج٢ ص ٣٢-٥؛ ١٤٠.

ومعاهدات، لعلها من الدواوين الحكومية أو من أناس لديهم وثائق[١] .

وكان باستطاعة الإخباري أن يعتمد كثيراً على روايات مصره (كما هو حال أبي مخنف) أو على روايات قبلية (مثل : سيف بن عمر) ولكنه لم يكن يستطيع ترك روايات مقابلة أو معارضة[٢] . ففي هذا الوقت انتشر أسلوب المحدثين في الرواية لحد ما وأثر على الإخباريين؛ ولذا نرى أن الطريقة النقدية للإخباريين هي في نقد الرواة وفي تقدير قيمة رواياتهم [فمثلاً يقول سيف : وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الآثار[٣] . ويقول أبو مخنف- إشارة إلى حادث يتصل بفاجعة كربلاء -«أما : ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير . . وغيرهما من المحدثين، فهو ما عليه جماعة المحدثين. قالوا . . . .»[٤] .

ولكن قصص المجالس وما يتصل به من شعر وجد طريقاً إلى كتاباتهم. وهذا يصدق بالدرجة الأولى على نصر بن مزاحم الذي يورد كثيراً من الشعر المصنوع ويقتفي بوضوح -في صفين- أسلوب قصص المجالس، وهذه بدورها استمرار لقصص الايام[٥] . ويمكننا ملاحظة شيء من أثر الأسلوب القصصي في إخباريين آخرين مثل سيف بن عمر وأبي مخنف[٦] وعوانة .

---

(١) انظر الطبري ج١ ص ٢٨٢٠ .

(٢) انظر الطبري ج٢ ص ٣٢٣، ٢٠٢، ١٨٢، بخصوص أبي مخنف، والبلاذري - أنساب ج٤ ص١، ٣١ج ٥ ص ٣٦٩، الطبري ج١ ص ١٨٣٣ بخصوص عوانة .

(٣) الطبري ج١ ص٢٠٢٥ .

(٤) الطبري ج٢ ص ٣٧٨ .

(٥) انظر الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٤٨٢-٣، الطوسي الفهرست ص ١٧١ .

(٦) الطبري ج١ ص ٢٠٧١-٢، ص ٢٠٥٨، ٢١٠١-٢؛ ج٢ ص ٣، ٨-٥٠ .

كتب هؤلاء الإخباريون بأسلوب سهل مباشر، وأعطوا أحياناً صوراً قلمية حية للحوادث. وحين يكتبون عن المعارك نجدهم يوردون الشعر والخطب والحوار خلال أخبارهم. ونجد القصة عادة متسلسلة في كتاباتهم، كما نحس أحياناً بنبرة أسلوب قصص الأيام فيها.

وبعد هذا فإن الإخباريين يمثلون مرحلة انتقال بين فترة سابقة ينعدم فيها الإسناد وبين أسلوب المحدثين الدقيق في إسناده، إذ إنهم يبدون كثيراً من الحرية وأحياناً التساهل في استعمالهم للإسناد. فنجد سلاسل إسناد منقطعة، أو حالات لا يذكر فيها إلا الاسم الأول للراوي، (مثل: عن عمير بن فلان العبدي)، أو «عمن أدرك من أهل العلم». ونلاحظ خلال القرن الثاني للهجرة أن رواية واحدة تعطى عادة عن كل نقطة أو موضوع، وتتابع الروايات واحدة بعد الأخرى لإكمال القصة أو الخبر. ويستمر هذا الوضع حتى نصل المدائني حيث نجده يعطي أكثر من رواية حول الموضوع ونحصل لديه على صورة أكثر توازناً وحياداً عن الموضوع. وكانت الأخبار والروايات تؤخذ في الغالب بطريق الرواية الشفوية، ويحتمل أن بعض المصادر مكتوب كما يبدو من بعض التعابير مثل «قال» و«حدثني» حين تشير إلى نفس المصدر.

ومن المناسب هنا أن نذكر أن اللغويين لعبوا دوراً في تكوين أسلوب للبحث أكثر دقة في النقد، وذلك بدراساتهم للشعر ومحاولاتهم للتمييز بين الشعر الصحيح والموضوع. كما ساعدوا على جمع الروايات التاريخية وعلى غربلتها. وهكذا أدخل اللغويون أسلوب النقد الداخلي للمواد ووضعوه جنب النقد الخارجي للمصادر والرواة. أما وجهتهم في الكتابة فكانت مماثلة لوجهة

الإخباريين في أنهم كانوا يجمعون المواد المتعلقة بموضوع أو حادث ويؤلفون «الكتب».

وخدم النسابون الدراسات التاريخية بإعطاء الأنساب مع بعض المعلومات عن حياة الشخصيات (خاصة عند مصعب الزبيري). وهنا يتبين أن الحاجات الاجتماعية والمنازعات القبلية، والانقسامات السياسية بين القبائل، كانت الدافع للاهتمام. وهذه الدراسات هيأت عن أشراف القبائل ما هيأته كتب الطبقات عن المحدثين ولكن بدرجة أقل بكثير من ناحية المادة.

وكانت المناقشات والصراع الثقافي مع الشعوبية من جهة وتوسع تيار الموالي من جهة أخرى حافزاً للنسابين واللغويين على التوسع في دراساتهم ودافعاً إلى التأكيد على وحدة التاريخ الثقافي للعرب واتصال حلقاته. وكان مرجع النسابين واللغويين بالدرجة الأولى الشعر والروايات القبلية التي تتصل بالشعر أو التي يرد الشعر خلالها لإثبات صحتها، ولذا فإن دراساتهم اختلطت بحقل الدراسات التاريخية أو اتصلت بها.

لقد بدأت دراسات الأنساب ضمن حدود قبيلة واحدة. ثم ظهر في القرن الثاني للهجرة نسابون جمعوا الروايات والأخبار القبلية من نسابي القبائل المختلفة ومن الشعر وخاصة شعر النقائض. ومن أمثلة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣م) وأبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٤م). وفي الفترة نفسها قام اللغويون والنحاة بجمع الشعر العربي من «الكتب» القبلية ومن الرواة. ومع أن البعض حدد اهتمامه بالنسب والنحو إلا أن قسماً منهم تناول في دراسته حقل التاريخ العربي على نطاق واسع (انظر كتب هشام بن محمد

الكلبي وأبي عبيدة معمر بن المثنى]. وهنا أيضاً نلاحظ أن الحركة اتجهت من ذكر الرواية دون إسناد إلى محاولة لذكر بعض الرواة وإلى تثبيت الإسناد. وللتمثيل نذكر أن هشاماً بن محمد بن السائب الكلبي يروي عن أناس من أهل الكتاب، وعن ابن أبي صالح في تاريخ الأنبياء، وعن الترجمات وسجلات الحيرة، وعن القصص في تاريخ الفرس والعرب، ويعتمد على «مشايخ الكوفة» وعلى أبي مخنف وعوانة في التاريخ الإسلامي. أما أبو عبيدة فيروي عن شيوخه (أبو عمرو بن العلاء، والأخفش، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس بن حبيب، وعن هشام بن عروة وعن وكيع وعن جماعة من الأعراب الفصحاء)[1].

وتظهر فكرة تاريخية وراء هذه الدراسات، وهي فكرة الاستمرار الثقافي (بمفهوم الوحدة الثقافية) في تاريخ العرب وأهمية ذلك بالنسبة للمسائل المعاصرة خاصة دعاوى الارستقراطية العربية، والصلة بين قريش والقبائل العربية الأخرى، ونظرة العرب إلى الموالي، ومشاكل تتصل بالإرث اللغوي وبالأدب العربي. وهذه المسائل الكبيرة وسعت أفق النسابين واللغويين ليتناولوا تاريخ شعوب أخرى قبل الإسلام. فهشام بن الكلبي درس تاريخ الأنبياء وتاريخ الفرس المتصل بتاريخ العرب، في حين أن أبا عبيدة رجع إلى الروايات الفارسية [وبين مؤلفاته كتاب أخبار الفرس وكتاب الموالي].

وتنعكس المسائل السياسية لحد ما في كتاباتهم. فنلاحظ شيئاً من الميل للعلويين لدى هشام بن الكلبي. وأبو عبيدة، قدر ما نلاحظ من النقائض،

(١) المزهر للسيوطي ج٢ ص ٤٠١-٢، الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج١٣ ص ٢٥٢، ابن خلكان ج١ ص ٨٢٠، النقائض ص٣٠-٤٨٧، مجاز القرآن لأبي عبيدة ج١ ص ٤٠٠.

يظهر ميلاً إلى كشف المثالب العربية بشكل لا يمكن تفسيره بكونه من الخوارج، ويشارك في الاتجاه الشعوبي[1].

وفي مطلع القرن الثالث الهجري، وصلت الدراسات التاريخية، مرحلة أدت إلى ظهور المؤرخين الكبار في ذلك القرن، إذ إن الإخباريين واللغويين والنسابين رسموا في «الكتب» التي ألفوها نطاق الدراسة التاريخية، وشملت دراساتهم مختلف جوانب حقولها.

وفي هذه الدراسات ظهرت فكرة وحدة التاريخ الإسلامي. ويحتمل أن هذه الفكرة تمثلت في دراسة تاريخية متسلسلة بصورة دقيقة، من ناحية الزمن، في مؤلف الهيثم بن عدي «كتاب التاريخ على السنين». وفي هذه الدراسات تطور اتجاه دراسة الأنساب إلى اتجاه تاريخي ضمن إطار النسب كما في نسب قريش للزبيري (ت ٢٣٣ - ٦ هـ-، ٨٤٤ - ٨٥٠م)، وبصورة أوضح من ناحية الخطة والمجال في «تاريخ الأشراف الكبير» للهيثم بن عدي. وظهرت فكرة التاريخ العالمي، فتناول هشام بن الكلبي تاريخ الأنبياء وتاريخ العرب الشماليين والجنوبيين قبل الإسلام والتاريخ الإسلامي.

ومن ناحية الأسلوب، زاد الاهتمام بالإسناد، وأخذ البعض يروي الروايات المتباينة حول النقطة أو الموضوع نفسه، كما هو الحال عند المدائني وأبي عبيدة. ونلاحظ أيضاً الاتجاه نحو الاستفادة من المصادر المكتوبة جنب الروايات الشفوية لدى المدائني وأبي عبيدة وهشام بن الكلبي. وقد أخذ هؤلاء عن

---

(١) انظر محمود غناوي - النقائض ص ١٤٦.

مؤلفات طبقة أبي مخنف وعوانة ومحمد بن السائب الكلبي وأبي عمرو بن العلاء.

شهد القرن الثالث الهجري مرحلة جديدة عن التطور الثقافي، فقد تجمعت مادة ضخمة من الروايات التاريخية التي رويت أو كتبت في أمصار مختلفة. وكان هذا العصر عصر «الرحلة في طلب العلم»، وهي حركة بدأها أهل الحديث، في سبيل جمع وتصنيف الأحاديث. وهذه الاتصالات أدت إلى تبادل التأثير من ناحية الأسلوب والنظرة التاريخية. إذ اتسع استعمال الإسناد وتركز أكثر من ذي قبل، وحددت أصوله بصورة أدق. وبالإضافة إلى ذلك بدأ الرأي يتبلور لدى العلماء والمؤرخين حول قيمة المؤلفات السابقة ودرجة الوثوق بأصحابها. وهذا ما جعل أمر جمع الروايات ونقدها أكثر يسراً وأقرب للدقة.

جاء مؤرخو القرن الثالث الهجري - البلاذري (ت ٢٧٩ / ٨٩٢) واليعقوبي (ت ٢٨٤ / ٨٩٧) والدينوري (ت ٢٨٢ / ٨٩٨) وابن قتيبة (ت ٢٧٠ / ٢٨٢م) والطبري (ت ٣١٠ / ٩٢٣) فكتبوا تواريخ متصلة للأمة الإسلامية، تختلف عن «الكتب» السابقة. وسنكتفي ببعض الملاحظات العامة هنا.

كانت الأفكار التاريخية وراء كتاباتهم هي وحدة خبرة الأمة واتصالها، والنظرة العالمية للتاريخ. ويمثل البلاذري الفكرة الأولى بينما يمثل بقية المؤرخين الفكرة الثانية. وقد اختلفت دوافعهم لكتابة التاريخ. فالبلاذري كتب تاريخه (أنساب الأشراف) ونسجه حول الارستقراطية العربية وبذلك دل على مركز الثقل في نظره، كما أنه أكد بذلك نظرة اجتماعية عربية. ثم إن «فتوح البلدان» يعبر عن رسالة الأمة الأساسية أي الجهاد ويسد بعض الحاجات الفقهية

والإدارية. أما اليعقوبي فكتب تاريخاً عاماً لا يخلو من ميول علوية، وأعطى تاريخ قبل الإسلام معنى دينياً وثقافياً. وفكر ابن قتيبة بطبقة الكتاب وحاجتهم إلى تاريخ موجز شامل تمتزج فيه عدة وجهات، وجهة الأيام ووجهة التاريخ العالمي والحاجات الفقهية. بينما أراد الدينوري أن يظهر دور العراق وإيران في تاريخه العام، إذ وجد في تاريخ العصرين الساساني والعباسي ما يبرر هذه الوجهة. أما الطبري فأراد أن يوضح بتاريخه مشيئة الله وأن يجعل من تاريخه دليلاً على فعاليات الأمة جنب تفسيره العظيم.

ونلاحظ أن أسلوب المحدثين في النقد صار يطبق بصورة أتم في هذا القرن. فالطبري محدث يتبع أسلوب أهل الحديث بدقة كما يبدو من تأكيده على الأسانيد وابتعاده عن نقد المادة. وابن قتيبة ينقد مصادره لدرجة أنه يعود إلى التوراة ليصحح ما جاء به وهب بن منبه عن بدء الخليقة والأنبياء، ولا يأخذ من مصادره إلا ما ثبتت صحته. واليعقوبي يتخذ وجهة النقد نحو مصادره وخاصة تلك التي تتعلق بما قبل الإسلام، وهو يمحص مصادر الفترة الإسلامية ويكتفي بالإشارة إليها في مقدمته لأن أسانيدها معروفة. ويتخذ البلاذري سبيلاً وسطاً إذ يأخذ من المؤرخين السالفين فيذكرهم وفي كل حالة، ولا يورد سلاسل أسانيدهم لأنها معروفة إلا في حالات الضرورة.

ثم إن البلاذري والطبري يعطيان الروايات المختلفة حول الموضوع. ويقل لديهما ولدى المؤرخين الآخرين التحزب أو الانحياز، كما أن مقارنتهما للمواد التي قدمها المؤرخون قبلهم ساعدت لحد كبير على إعطاء صورة متزنة للأحداث.

وقد قام هؤلاء المؤرخون بدراسات خاصة واسعة في التاريخ و' لـغرافية والأدب وأضافوا نتاجهم إلى ما خلفه الإخباريون، واستعملوا الكتب (بعد قراءتها على شيخ) جنب الروايات الشفوية، ورجعوا أحياناً إلى الوثائق والسجلات. وقد جمعوا في تواريخهم بين وجهات النسابين والإخباريين واللغويين واستفادوا كثيراً من مدرسة المدينة.

إن ظهور هؤلاء المؤرخين يعني انتهاء مرحلة الإخباريين، إذ وضعوا خطوط علم التاريخ عند العرب، وركزوا الآراء والأفكار التاريخية.